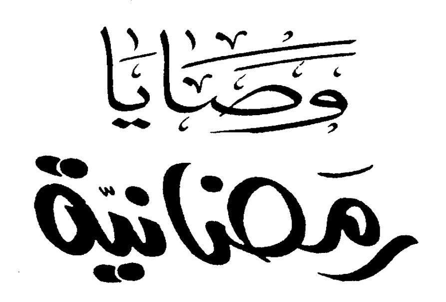


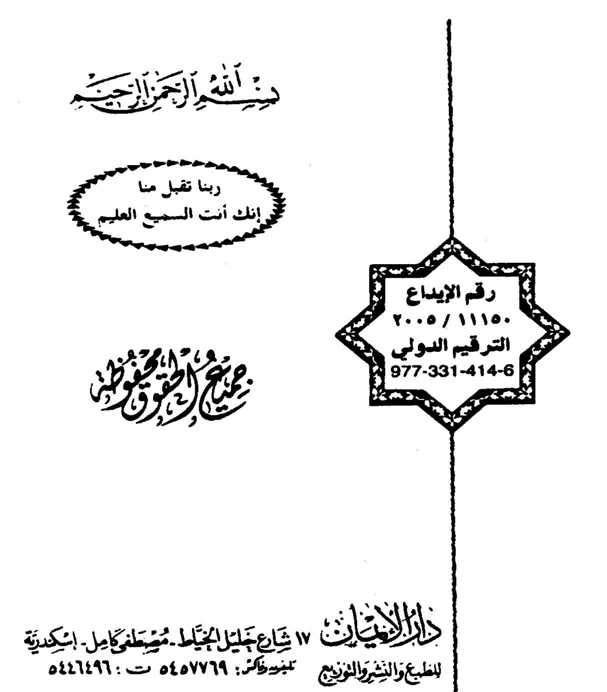
وكتبه

أبو هاشم السكندري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
١١١٥٠ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977-331-414-6

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم للطاعات والقربات وأمرهم فيها بإعمارها بمرور الساعات واللحظات، وصلاة وسلامًا على سيد السادات وقائد القادات.

وبعد:

أخوة الإسلام، أهلنا وأظلنا شهر النفحات والبركات، إنه شهر القرآن والبر والإحسان، شهر الصيام والقيام، شهر المراقبة والمواساة فيه تتهذب النفوس وتزكو وتتسامى الأخلاق وتعلو، فكان ولابد من استغلال هذا الشهر وملاحقة الأنفاس فيه طاعةً لله جلّ وعلا والمسابقة إلى دلائل الخيرات ومنابع البركات فهلموا أيها الأحبة وسابقوا الريح في مرضاة ربكم فقد عقدت سوق الطاعة فلا تقصّروا ولو ساعة وأعدوا ليوم فيه حساب بلا عمل

وقد انقطع بكم الأمل فإياكم والتفريط والغفلة المهلكة، ونادوا بلسان حالكم ومقالكم ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) ﴾ [طه: ٨٤]، فإياكم والسهو والغفلة.

نهارك يا مغرور سهو وغفلةٌ

وليلك نوم والردى لك لازمُ

وشغلك فيما سوف تكره غبّه

كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

وتذكروا الموت والبلى وانقطاع الأجل، فأين الذين عمروا الدنيا وحازوها وملكوها، راحوا وتركوها ورحلوا وفارقوها وكلنا عن قليل راحلون.

تا الله ولو عاش الفتى في عمره

ألفًا من الأعوام مالك أمره

متلذذًا فيها بكل نعيم

متنعمًا فيها بنعيم عصره

مـا كـان ذلك كله في أن يفى

بمبـيـت أول ليلةٍ في قـبـره

فيا من تقرأ هذه السطور وتجريها على الصدور قف قليلاً وحاسب نفسك وزن عملك وتدبر أمرك وانتهز الفرصة وتدارك الأمر فهذا موسم القرب والتوبة والإنابة والإخبات لله رب العالمين.

فإلى رمضان، إلى الذكر والقرآن والصدقة والإحسان والصيام والقيام، وفقك الله ورعاك وسدد على الخير خطاك.

وكتبه
أبو هاشم السكندري
غفر الله له ولوالديه



أهلا وسهلا يا رمضان

يا شهر الصيام قد علوت مُكرمًا
وغدوت من بين الشهور معظمًا
صائمي رمضان هذا شهركم
فيه أبا حكم المهيمن مغنمًا
يا فوز فيه من أطاع إلهه
متقربًا متجنبًا ما حرّما
فالويل كل الويل للعاصي الذي
في شهره أكل الحرام وأجرما
روّح فؤادك قد أتى رمضانُ
فيه الهدى والبر والإحسان
شهرٌ يزيد على الشهور جلالةً
وهدى وفيه أنزل القرآنُ
فيه الرضا للصائمين وفيه ما
يرجونه من العفو والغفرانُ

قال النبيّ كما روى عن ربه
فيما رواه السادة الأعيانُ
الصوم لي وأنا أجزي به
فاقض علينا الجود يا حنّان
سبحان اللهم في الآصال والـ
أبكار حتى يُملأ الميزانُ
يا رب جئنا تائبين فهب لنا
سترًا جميلاً منك يا رحمان
يسر لنا بصيامه وقيامه
روح الفتوح ليكمل الإيمان
واشرح قلوب المسلمين به كما
عودتنا يا رب يا منانُ
ثم الصلاة على النبي وآله
وصحابة ما دارت الأزمان



وصايا رمضانية

هذه أخي الحبيب بعض الوصايا الرمضانية التي تعينك على استثمار هذا الشهر الكريم في طاعة الله لتكون من الفائزين فيه بإذن الله جلّ وعلا .

احذر ... رمضان سريع الإنقضاء

كلنا أخي الكريم يقول هذه الكلمة رمضان (ضيف خفيف الظل) (سريع الإنقضاء) سرعان ما يدخل علينا ويخرج من بين أيدينا بسرعة عجيبة ولهذا سماه الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

[البقرة: ١٨٤].

فالفلاح كل الفلاح في الإستفادة الكبرى من هذا الشهر الكريم، والمنافسة فيه بالخيرات وإعماره بالذكر والصلوات ومعلوم أن العبادات أكثر من الأوقات فسدد

وقارب واحفظ وقتك في رمضان ولا تُضيع على نفسك هذه النفحات المباركات والساعات الطيبات فاغتنام الأوقات وسارع في الطاعات.

اغـتنـم في الفـراغ فـضل ركـوع

فـعسى أن يـكون مـوتك بغـتـة

كم صـحـيح مـات قـبل سـقـيم

ذهبـت نفـسـه النفـيـسـة فلتـه

وقـد قيـل: إن أعظـم ما يقـدر به الوقت وأن الإنسـان يضـن بالوقـت طالما كـان في غـيـر طاعـة الله أن خـاتمة الإنسان مرهونة بهذا الوقت، ولاشك أن الإنسان لو كان يعلم اللحظة التي سوف يموت فيها لكان أشـد حرصًا وبخلاً بها ولكن رحمة الله قريب من المحسنين، فعليك بحفظ الأوقات وإياك والبطالين وأهل الثرثرة والتسلية فهم في الحقيقة لا يقتلون الوقت إنما يقتلون ويميتون القلوب؛ فاحذرهم أن يفتنوك عن حرمة هذا الشهر

وحرمة وقته، وإياك أن يتفلت الشهر من بين يديك ولم تحدث فيه لله توبة ولم تزداد به إيمانًا، فإن رمضان هو مدرسة الأخلاق الكبرى وجامعة الفضائل.

فتدبر وتأمل حالك وقد عقد سوق الحسنات وراح الناس يتنافسون فيه، يُتاجرون مع الله تجارة الحسنات تجارة لن تبور، فاغتنم الفرصة ولا تُسوّف فإن التسويف أحبولة الشيطان ولا تقل سوف أصلي.. وسوف أصوم.. فإنه أرضى ما يتمناه الشيطان.

لا تغضب

كثيرٌ من الناس يجعل من الصيام شماعة فيظهر الانفعال للناس والغضب بدعوة أنه صائم ولربما سبَّ ولعن، ثم يخبر من حضره بأنه صائم ولولا صيامه لفعل وفعل، ووالله لقد كذب على الله وافترى فما كان الصيام إلا تهذيبًا وتأديبًا وحبس للنفس عن معصية الله وامتلاك النفس عند الغضب، وهذا الرجل إذا طلب من رسول

الله ﷺ الوصية فكررها عليه ﷺ ثلاث: «**لا تغضب.. لا تغضب.. لا تغضب**» وهي موعظة بليغة وجيزة، فإن الغضب يُخرج الإنسان عن طبيعته وربما قطع رحماً وحرّم زوجته بانفعاله هذا فكما قيل: «الغضبان كالسكران» لا يدري ماذا يقول فلا داعي أبداً لقلب الأمور وتغيير الحقائق عن وجهها الصحيح، فالصيام جنة ووقاية وتهذيب وتاديب، والرسول ﷺ يبين لك لعلاجٍ الشافي الكافي: «**إن الصوم جنةٌ فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم**» [البخاري (١٠٣) ومسلم (٢/١١٥١) وأبو داود (٢/٢٣٦٣)].

فهذا هو العلاج النبوي لمن شتمك وسبّك فذكّره بهذه الكلمة الطيبة «**إني صائم**» وكأنك تلوذ بالله وتحتمي به أن يعصمك من أن يزل لسانك فتفسد صيامك.

وهذه بعض الوصايا العجلى لمن علاه الغضب وامتلكه:

أولاً - استعذْ بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ثانيًا - غيِّر من هيئتك فإن كنت جالسًا فقفْ وإن كنت واقفًا فاجلس، وقد صحَّ ذلك في الأخبار عن سيد الأخيار الأبرار ﷺ.

ثالثًا - إذا ظلّ المؤذي لك معاندًا إيّاك متطاولاً متكبرًا فاترك المكان وابتعد عنه، فإن هذا المعاند من السفهاء المستهزئين بآيات الله، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠].

وهذا لأن المعاند إذا خاطبه من يؤذيه بقوله: «إني صائم» تندر به وانتقصه واستهزئ بكلامه وهو في الحقيقة كلام رسول الله ﷺ.

رابعًا - احرص على الوضوء؛ فإن الوضوء سلاح المؤمن، فلا يحملك جهل الجاهل على أن تغضب وتثور، فاذهب فتوضأ ويا حبذا لو تنفلت لله بركعتين.

خامسًا - كن واسع الصدر وتجاوز عن الهفوات والزلات وبالذات في الأوقات التي يكثر فيها الزحام وقبيل أذان المغرب؛ فالكل يسابق الزمن من أجل أن يجلس أمام المائدة وقد وُضع عليها ما لذَّ وطاب وساعتئذ تتفلت الأعصاب وتثور النفوس ويظهر طوفان الغضب فكن حليمًا عفوًا صبورًا، ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (١٩٩) ﴾ [الأعراف : ١٩٩].

سادسًا - إذا كنت في مكان لا تستطيع أن تتحول عنه فأكثر من ذكر الله وإن كدت لتردَّ على من سبّك أو شتمك فضع يدك على فيك وامتلك نفسك ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** (٤٣) ﴾ [الشورى : ٤٣]، نعم ، أن الأمر صعبٌ على النفس وخاصة أن الإنسان

تعلوه عزة النفس ولماذا أكون أنا المتسامح دائمًا؟، ولكن تأمل عظيم الأجر فهذا يهون عليك مصابك.

سابعًا - كن راجعًا وقافًا عند كتاب الله جلّ وعلا واعدل واصدق وإن كان الحق عليك لا لك واحرص على الصلح مع من خاصمت فالصلح خير والمؤمنون إخوة.

وقانا الله وإياك شر الغضب لغير ذات الله.

ولا يفهم من كلامنا في ذم الغضب أن الغضب لله ولكتابه ولسنة رسوله ﷺ مذموم وغير محمود.. أبدًا، ولكن لكل مقام مقال، ولكل دعوة نتيجة، وحتى وإن كان الغضب لله فهو بضوابط شرعية وأسس إلهية وسنن نبوية على صاحبها أتم الصلاة وأفضل التسليم.

إياك والكسل

يظن الكثيرون أن شهر رمضان شهر الكسل والدعة والراحة فترى من ينام إلى الظهر مثلاً وآخر لا يقوم إلا عند صلاة العصر ولا يشعر بلذة العبادة ولا بسر الصوم،

فأمثال هؤلاء لم يكن لهم من صومهم إلا الجوع والعطش، وظاهر فعلهم التعذيب للنفس والبعض يستثقل هذه العبادة ويتمنى مرور الشهر بسرعة وقد آلمه أن يرى الناس في طاعة، فالكل حريص على طاعة ربه، فهذا يسعى للعمرة، وآخر يُفطِّر الصائمين، وآخر يُزكي وهذا يتصدق وهذه تنافس في الخير، الكل يسارع في الخيرات، وهذا المسكين في نفسه ألمًا وحسره...

وهذا حال كثير من الناس إلا من رحم ربك، فيا أيها المسلمون اعلموا أن شهر رمضان هو شهر العبادة والنشاط والسعي في طاعة الرحمن والمتأمل في تاريخنا الإسلامي العريق الأصيل يجد أن معظم المعارك والفتوحات الإسلامية كانت في هذا الشهر الكريم الفضيل حتى كان شهر رمضان يُسمى بشهر النصر.

وكان البعض يقول: إذا كان الصوم نصف الصبر، وأن النصر مع الصبر، فلابد أن يأتي النصر مع طاعة الله جل وعلا، واعلم أخا الإسلام أن اليوم الإسلامي يبدأ

بصلاة الفجر فالبعض يظل في سهر إلى قبيل الفجر ثم يتناول طعام السحور، ثم ينام قبل أداء فريضة الفجر، وهذا لا يليق بمن نزل به رمضان ضيفًا، فهل لو كان عندك ضيفًا، أكنت تركته وتذهب لتنام...؟!!

ألا فلنحرص على طاعة ربنا ولنحاسب أنفسنا ولا نفرط في أنفاسنا وأنفسنا، ولنحرص على أن نعمر أوقاتنا بذكر الله وتحصيل الزاد الذي يبلغنا إلى دار الخلود، ولنغسل ذنوبنا بدموعنا ولنجتهد في قيام الليل، «فزرع الآخرة لا يسقى إلا بدموع الليل» وكان السلف الصالح أشد الناس نشاطًا ومجاهدة في الطاعة والعبادة إذا أقبل رمضان.

وكان لهم من علو الهمة في العبادة ما لا يضارع ولا يماثل، فقد روي عن الحسن البصري أنه مرّ بقوم في رمضان وهم يضحكون، فقال: «إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل

العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون أما والله لو كُشِفَ الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته».

وقيل للأحنف ابن قيس: إنك شيخ كبير والصوم يضعفك، فقال: «إني أعدّه لسفر طويل والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه».

غض بصرك

لقد حبى الله سبحانه وتعالى الإنسان بنعم عظيمة وآلاء جسيمة ومن هذه النعم نعمة البصر والتي تعد من أعظم النعم التي يتأمل بها الإنسان الكون من حوله ليرى عظيم خلق الله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)** ﴾ [ق: ٦، ٧].

فهذا البصر نعمة من الخالق سبحانه للناس ليتدبروا

ويتأملوا في خلق الله وعظيم صنعته سبحانه، فلابد وأن يحرص المسلم في عامة شأنه وخاصةً في صيامه على غض بصره وصيانته من النظرة المحرمة، فيالله ممن يزعم صومًا ويجلس أمام شاشات الفضائيات ليشاهد فيلمًا داعرًا عاهرًا، ويرى النساء المتبرجات المتهتكات، ثم يدعي بعد ذلك صومًا وطاعة، والبعض الآخر يقول: لا أتفرج ولا أشاهد هذه الأفلام إلا بعد الإفطار. وكأن رب ما قبل الإفطار ليس برب سائر الأوقات والأزمنة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما كان الصوم إلا لتتربى النفس على طاعة الله في كل وقت وحين، قال ﷺ: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس - لعنه الله - فمن تركها خوفًا من الله أتاه الله عز وجل إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»** [رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة رضي الله عنه وفي الحديث ضعف كما بيّن ذلك الحافظ الذهبي].

وإن كنا مأجورين بغض البصر دائمًا ففي الصوم آكد وأوجب، والبعض يتعلل بأن غض البصر أصبح من

الأمور المستحيلة، وخاصة مع قلة الحياء، وانعدام الغيرة والجرأة على محارم الله وتبذل النساء، هذه حيلة إبليسية، ومكيدة شيطانية لا تروج على عباد الله المخلصين، فلابد من المجاهدة والصبر على الفتن وعن الفتن، فاستعن بالله ولا تعجز، واعتصم بالله، فمن توقى بالله وقاه وكفاه وأواه.

اللهم اكفنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، واغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

احرص على ختم القرآن

أخي الكريم، في شهر القرآن لابد وأن نتقرب من كتاب الله عز وجل، فحالنا مع القرآن تتفطر منه الأكباد وتتقطع منه نياط القلوب، فلابد وأن نأمّر كتاب الله فينا عملاً وقولاً وسلوكًا ومعاملة فالقرآن هو الدستور الخالد والينبوع الصافي.

تذكر أخي المسلم كم مرة ختمت القرآن في

حياتك؟ وكيف كنت تقرأه؟ وكيف كنت تستشعر الآيات؟ يقول الحق سبحانه: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر: ٢١].

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : « فأين قوة القلوب من قوة الجبال، ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلاً منه ورحمة ».

فعليك باستغلال هذاالشهر الكريم في ختم القرآن وتدبره، وأُذكرك أخي الحبيب بأن القرآن هدى فهلا اهتديت به، والقرآن ميزان فزن عملك به، والقرآن حكم فهلاّ احتكمت إليه، والقرآن عبر فهلاّ اعتبرت به؟ والقرآن خشية فهل بكيت منه؟ وإياك وهجر القرآن فمن الناس من لا يقرأ القرآن إلا في رمضان ، ومن الناس من يقرأ القرآن ولا يعمل به، فهذه هي شكاية الرسول ﷺ إلى ربه ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** (٣٠) ﴾ [الفرقان: ٣٠].

مأثورات:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إنّا قوم صَعُبَ علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به».

وعنه ﷺ قال: «إذا أردتم العلم فانثروا القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين»، «لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

قال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: «تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله».

قال ابن أبي مليكة: «صحبت ابن عباس – يعني في السفر – فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويُكثر في ذلك من النشيج والنحيب».

وعن محمد بن حجارة: قلت لأم ولد الحسن البصري ما رأيت منه - أي الحسن البصري -؟ فقالت: رأيته فتح المصحف، فرأيت عينيه تسيلان وشفتيه لا تتحركان».

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة».

قال الحسن البصري: «تفقد الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذِّكْر، وقراءة القرآن».

أنت وصلاة التراويح

قال الحكم بن أبان عن أبي مكي: «إذا حضر الرجل الموت يقال للملك: شم رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن، قال: شم قلبه. قال: أجد في قلبه الصيام. قال: شم قدميه. قال: أجد في قدميه القيام. قال: حفظ نفسه فحفظه الله تعالى» [١].

---

(١) الجزاء من جنس العمل. د/ سيد عفاني المجلد الثاني ص ٤٨٤، ٤٨٥.

فهذه الصلاة المباركة وإن كانت نفلاً إلا أن المسلم يشعر فيها بشعور غريب ولذة في المناجاة والطاعة وخاصة إذا خرج القرآن من قارئ حسن الصوت يتغنى بالقرآن، ولقيام الليل لذة لا يدركها من استثقل الصلاة وأداها بفتور، أو طلب المساجد التي تصلي بسرعة لانشغاله بالدنيا ومتاعها الزائل، فحريٌ بك أخي المسلم أن توفر جهدك ووقتك في طاعة ربك، وخذ من نفسك لنفسك، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل.

وكان الرسول ﷺ وصحابته الكرام أحرص الناس على قيام الليل سفرًا وحضرًا وسلمًا وحربًا فاللهم ارزقنا لذة المناجاة وحلاوة الطاعة ونوراليقين، وتقبل منّا الصيام والقيام وسائر الأعمال يا رب العالمين.

صُن لسانك

أكثر ما يدخل الناس النار هذه القطعة الصغيرة من اللحم... يا الله ما من شيء أحق بطول حبسٍ من

اللسان، ورحم الله امرأ جعل لسانه حبيس فكيه وحبسه إلا عن قول الحق والخير؛ فاحفظ لسانك من الكذب وقول الزور والبهتان والغيبة والنميمة، فهذا حرام في رمضان وفي غير رمضان، ولكنه من الصائم أفحش، واشغل نفسك بعيوبك عن عيوب الناس، وأحسن العمل وأقصر الأمل، واذكر الأجل، وكان سفيان يقول: «الغيبة تفسد الصوم»، وكان مجاهد يقول: «خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب».

فالإنسان طالما كان صامتًا فهذا له، فإذا تكلم فإما له وإما عليه، وقد قيل: اسكت عن شرٍ تسلم، وقُلْ خيرًا تغنم. فعليك بحفظ لسانك وصونه عن الحرام، واحرص على قراءة القرآن وذكر الرحمن ونصيحة الإخوان، وتذكر قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ⁽١٨⁾﴾ [ق: ١٨].

وإذا كنّا نأمر الصائم بكف لسانه عن الغيبة

والنميمة، فكذلك ننصحه ألا يشارك في مجالس الغيبة والنميمة والزور والبهتان، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فأنت والمتكلم في الإثم سواء إن لم تنهه أو تفارق مجلسه.

يا باغي الخير أقبل

يا من عصيت الله أقبل، يا من أكلت مالاً حرامًا أقبل، يا من هتكت الأستار وفضحت الأسرار أقبل، يا من اغتبت وبهت أقبل، أقبل هذا شهر المغفرة والعتق.

يا طالب الثواب أقبل، يا باغي الحسنات هلمّ، يا خاطب الحور العين أقبل.. أقبلوا فلكلٍ مبتغاه وما يتمناه، وأروا الله من أنفسكم خيرًا، واعلموا أن الله يُعطي أكثر مما يتمنى العبد ويدفع من الشر أكثر مما يحذر ويخشى العبد، فهلموا إلى ربكم ومالككم، املأوا شهر رمضان ذكرًا وقرآنًا وصدقة وإحسانًا وعبادة وتضرعًا وتوبة وإنابة.

اللهم بلغنا رمضان وبلغنا ليلة القدر، واجعلنا فيها من الفائزين السعداء، اللهم وتقبل منا الصيام والقيام وسائر أعمالنا، اللهم سلمنا من الناس وسلم الناس منّا ورزقنا حفظ كتابك وحفظ حدودك ومحارمك واجعلنا يا مولانا بما قسمت لنا من الراضين.

إياك.. والفطر بدون رخصة وعذر

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعرًا فقالا: اصعد. فقلت: إني لا أطيقه. فقالا: أنا سنسهله لك، فصعد، حتى إذا كنت في أسوأ الجبل إذا بأصوات تريده، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم دمًا، قال: قل: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تكملة صومهم**».

فهذا هو حال من يفطر قبل الغروب أو قبل تحلة

الصوم، فكيف بمن يفطرون ولا يصومون ومن يفطرون جهارًا نهارًا؟!!.

قال الإمام الذهبي: «ومعلوم عند المسلمين أن المفطر في رمضان شرٌّ من الزاني وشارب الخمر».

فيا من تُفطر في رمضان بدون عذر ولا رخصة ومن أجل سيجارة.. احذر فإن صوم رمضان ركن من أركان الإسلام الخمسة عليها يبني إسلامك فجدد التوبة وتبْ إلى الله والله يحب التوابين، اللهم تب علينا وعلى إخواننا المسلمين.

لا تتهاون في الصلاة

يا من عرفت الله في رمضان، فصليتَ مع المصلين وقمتَ مع القائمين، اعلم أن رب رمضان هو رب سائر الشهور، فاجعل من هذا الشهر فرصة للتوبة والمواظبة على صلاة الجماعة، فالصلاة آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

فيا عجبًا لمن يصوم ولا يصلي، فهل لو كان هذا الصائم بلا صلاة ويعمل عند إنسان فأمره بعمل أكان يعمل بعضه ويترك البعض الآخر أم يؤديه على التمام؟! فما أحلم الله على من عصاه، وكان عمر رضي الله عنه يقول وهو يعالج سكرات الموت والدم يتفجر من جرحه وهو يبكي ويقول: «الله الله في الصلاة، لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فمن حفظ الصلاة حفظه الله، ومن ضيّع الصلاة ضيّعه الله».

وكان آخر ما نطق به الحبيب ﷺ: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

يا تركًا لصلاته إن الصلاة لتشتكي

وتقول في أوقاته الله يلعن تاركي

فهلمَّ أخا الإسلام وبادر بالتوبة واحرص على الصلاة فهي شعار أهل الإسلام.

الاعتكاف

كان النّبيّ ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا.. [أخرجه البخاري]. فالإعتكاف من العبادات التي تجمع كثيرًا من الطاعات؛ من التلاوة، والصلاة، والذكر، والدعاء.. وغيرها. وقد يتصور من لم يجرّبه صعوبته ومشقته، وهو يسير على من يسره الله عليه، فمن تسلح بالنية الصالحة والعزيمة الصادقة أعانه الله.

وآكد الإعتكاف في العشر الأواخر تحريًا لليلة القدر، وهو الخلوة الشرعية، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه؛ ونظرًا لأن الكثير من الناس اليوم يجهل أحكام الإعتكاف فإنني أقدم هذه المعلومات المبسطة عن الإعتكاف.

أولاً - تعريف الإعتكاف:

في اللغة: لزوم الشيء وحبسُ النفس عليه.

وفي الشرع: لزوم المسجد والإقامة فيه من شخص مخصوص بنية التقرب إلى الله تعالى.

ثانيًا - حكمة التشريع في الإعتكاف:

قال ابن القيم - رحمه الله - مُبينًا بعض الحكم من الإعتكاف ما نصه: «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفًا على جمعيته على الله، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى؛ فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام مما يزيده شعثًا ويشتته في كل وادٍ، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى أو يضعفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ويستفرغ من القلب

أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره إلى الله، وشرع لهم الإعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى والخلوة به، والإنقطاع عن الإشتغال بالخلق، والإشتغال به وحده بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بدله..».

ثالثًا - حكم الإعتكاف:

الإعتكاف قربة وطاعة وفعله سنة، وهو في رمضان آكد، وآكده في العشر الأخيرة منه، لكنه يجب بالنذر، ودليل ذلك ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢ - عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان النبيّ ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا» [رواه البخاري].

٣ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان فإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه..» [متفق عليه] وفيه: «حتى اعتكف في آخر العشر من شوال» [متفق عليه].

٤ - وعنها رضي الله عنها: «أن النَّبيّ ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده» [متفق عليه].

٥ - أما وجوبه بالنذر فلقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**» [متفق عليه]. ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سأل النَّبيّ ﷺ قال: كنت نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ قال: «**أوفِ بنذرك**».

رابعًا - شروط الإعتكاف:

١ - ٢ - ٣ - الإسلام والعقل والتمييز.

٤ - النية.

٥ - المسجد.

٦ – الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس.

خامسًا – ما يستحب للمعتكف:

١ – الإكثار من الطاعات كالصلاة وتلاوة القرآن، وقراءة كتب أهل العلم وغير ذلك.

٢ – اجتناب ما لا يعنيه من الأقوال، فيجتنب الجدال والمراء والسباب ونحو ذلك.

٣ – أن يلزم مكانًا من المسجد لما ثبت في صحيح مسلم عن نافع قال: «وقد أراني عبد الله – يعني ابن عمر – المكان الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد».

سادسًا – ما يباح للمعتكف:

١ – الخروج لحاجته التي لابد منها: لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «السُّنَّة على المعتكف أن لا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد له منه» [رواه

أبو داود، وقال الحافظ: ولا بأس برجاله].

٢ - وله أن يأكل ويشرب في المسجد وينام فيه مع المحافظة على نظافته وصيانته.

٣ - الكلام المباح لحاجته أو محادثة غيره.

٤ - ترجيل شعره وتقليم أظفاره وتنظيف بدنه ولبس أحسن الثياب والتطيب بالطيب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكون معتكفًا في المسجد فيناولني رأسه خلال الحجرة فأغسل رأسه». وفي رواية: «فأرجله» [متفق عليه].

٥ - خروجه من معتكفه لتوديع أهله لحديث صفية أن النّبيّ ﷺ فعل ذلك.

سابعًا - ما يكره للمعتكف:

١ - البيع والشراء.

٢ - الكلام بما فيه إثم.

٣ - الصمت عن الكلام مطلقًا إن اعتقده عبادة.

ثامنا - مبطلات الإعتكاف:

١ - الخروج من المسجد لغير حاجة عمدًا ولو قل.

٢ - الجماع.

٣ - ذهاب العقل بجنون أو سكر.

٤ - الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة، لفوات شرط الطهارة.

٥ - الردة - أعاذنا الله منها -.

تاسعًا - وقت دخول المعتكف والخروج منه:

متى دخل المعتكف المسجد ونوى التقرب إلى الله بالمكث فيه صار معتكفًا حتى يخرج، فإن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فإنه يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ويخرج بعد غروب الشمس آخر يوم من الشهر.

عاشراً - تنبيهات:

١ - من شرع في الإعتكاف متطوعاً ثم قطعه استحب له قضاؤه لفعله ﷺ حيث قضاه في شوال كما تقدم في حديث عائشة. أما من نذر أن يعتكف ثم شرع فيه وأفسده وجب عليه قضاؤه.

٢ - للمرأة الإعتكاف في المسجد إن أمنت الفتنة وبشرط إذن زوجها، فإن اعتكفت بغير إذنه فله إخراجها؛ قال النّووي: بلا خلاف. اهـ.

والأحكام المتعلقة بالإعتكاف بالنسبة للمرأة كالرجل إلا أنها إذا حاضت بطل اعتكافها، فإن طهرت عادت فأكملته، ويُسنُّ استتار المعتكفة بخباء في مكان لا يصلي فيه الرجال.

٣ - من نذرالإعتكاف في المسجد الحرام لم يجز له الإعتكاف في غيره، وإن نذره في المسجد النبوي وجب عليه الإعتكاف فيه أو في المسجد الحرام، وإن نذره في

المسجد الأقصى وجب عليه الإعتكاف في أحد هذه المساجد الثلاثة.

وأما من نذر الإعتكاف في غير هذه المساجد الثلاثة لم يتعين وعليه أن يعتكف في أي مسجد شاء؛ لأن الله تعالى لم يجعل لعبادته مكانًا معينًا، ولأنه لا فضل لمسجد على مسجد آخر إلا المساجد الثلاثة.

وأخيرًا أخي المسلم.. بادر بإحياء هذه السنة ونشرها بين أهلك وأقاربك وبين إخوانك وزملائك وفي مجتمعك، لعلّ الله أن يكتب لك أجرها وأجر من عمل بها؛ فقد أخرج الترمذي وحسّنه من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: أن النّبيّ ﷺ قال لبلال بن الحارث: «**اعلم**» قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «**إنه من أحيا سنة من سُنَتي قد أُميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا**».

إضافة إلى ما في سنة الإعتكاف من الفوائد في تربية

النفس وترويضها على طاعة الله عزّ وجل، فما أحوج المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة إلى القيام بهذه السنة.

العمرة في رمضان

ثبت عن النّبيّ ﷺ أنه قال: **«عمرة في رمضان تعدل حجة»** [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي رواية: **«حجة معي»** فهنيئًا لك - يا أخي - بحجة مع النّبيّ ﷺ.

تحري ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)** ﴾ [القدر: ١-٣]. وقال ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»** [أخرجه البخاري ومسلم].

وكان النّبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، وكان يوقظ أهله في ليالي العشر رجاء أن يدركوا ليلة القدر.

وفي المسند عن عبادة مرفوعًا: «**من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» [وللنسائي نحوه، قال الحافظ: إسناده على شرط الصحيح].

وورد عن بعض السلف من الصحابة والتابعين الإغتسال والتطيب في ليالي العشر تحريًا لليلة القدر التي شرفها الله ورفع قدرها.

فيا من أضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر، فإنها تحسب من العمر، والعمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ.

وهي في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الوتر من لياليه أحرى، وأرجى الليالي سبع وعشرين، لما روى مسلم عن أُبي بن كعب ﷺ: «والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، **وهي** ليلة سبع وعشرين».

وكان أُبي يحلف على ذلك، ويقول: «الآية والعلامة

التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها».

وفي الصحيح عن عائشة قالت: «يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني**».



من أخلاق الصائمين

لقد فرض الله فريضة الصوم وفيها من الأسرار الكثير وأعظم ما في هذه الفريضة أنها عبادة سرية بين العبد وربه لا يطّلع عليها إلا الله سبحانه، وهذا يجعلها تنفرد أيضًا بأن جزاء صاحبه سر بين العبد وربه، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» [البخاري ٢٢/٣، ومسلم ٢/١١٥١].

وأعظم ما في الصوم أن العبد ينصبغ بهذه الفريضة ويسعى في حمايتها من كل ما يخدش تمامها ويُفسد صلاحها فتتحسن أخلاقه وتتهذب طباعه ويراقب الله في أعماله جميعًا وأعظم ما يتحصل عليه المرء المسلم وهو يتلبس بهذه العبادة مرانه على الصبر، على طاعة الله ومجاهدة النفس وحرمانها من الطيبات قبل المحرمات؛ طاعةً لله تعالى، ورجاء للثواب عنده ويشارك

بهذا الجوع والعطش إخوانه في حرقة الحرمان ولوعة الجوع ويحفظ جوارحه عن معصية الله، وكل هذا صبر في صبر وصبر على صبر ﴿ **نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٣٥].

ونظرًا لفضيلة الصبر وعلو شأنها جمعتُ لك أخا الإسلام بعضًا من فضائل الصبر والأسباب المعينة على الثبات على هذا الخلق الإسلامي الرفيع (خلق الصبر) وبخاصة ونحن في شهر الصبر (شهر رمضان) ونحتاج فيه إلى تأصيل هذا الخلق في أنفسنا على الدوام، فنحن نحتاج إلى الصبر في كل جوانب حياتنا حربًا وسلمًا وقولاً وفعلاً، ودينًا ودنيا، فدونك هذه الورقات لك غنهما وعليّ غرمها، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من عجز أو قصور أو خلل فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء والحمد لله رب العالمين.



خلق الصبر

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله هو كما أثنى على نفسه، هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء، وهوالظاهر ليس فوق شيء وهو الباطن ليس دونه شيء وأشهد أن لا إله إله إلاّ هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان للأمانة مبلغًا وللأمة ناصحًا وعليها مشفقًا، فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد، معاشر المسلمين، جاء الإسلا بتعاليمه وشرائعه ليربي الأمة على مكارم الأخلاق ومحاسن الفضيلة وحثّ عليها وأقر ما كان عند أهل الجاهلية من الأخلاق الحسنة والتي توارثوها عن الآباء فخرًا وشرفًا

فجاء الإسلام برسالته فاقرها وصرفها لله وحده وتممها بأخلاق النبوة من مدرسة الأخلاق الكبرى أخلاق محمد ﷺ، ولهذا كان كلامه عليه الصلاة والسلام فيه الحق والصدق، **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**

[رواه البخاري] .

إذا فالأخلاق كان موجود منها شيء أقره الإسلام، ومنها إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف وعون المحتاج، ولكن هذه الأخلاق كانت لا تؤثر في صاحبها بمعنى أنه ربما كان شاربًا للخمر وفيه من الموبقات والرذائل ما فيه ولكن يفعل المكرمة والخلق الحسن حسبًا ونسبًا، فجاء محمد ﷺ فاتم صرح الأخلاق وجعل أعظم الأثر في الخلق ما ظهر أثره في صاحبه، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: **«البر حسن الخلق»** [رواه البخاري]، **«أكثر ما يُدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق»**

[رواه الترمذي وصححه] .

ومن محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها خلق الصبر واحتمال الأذى في ذات الله تعالى.

والصبر معناه لغة: المنع والحبس، وشرعًا: هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما.

وقيل هو قوة لحبس النفس عما لا يجمل ولا يحسن وهو من القوى التي بها صلاح النفس وقوام أمرها.

وقوة الصبر فيها قوة إقدام وهي مصروفة إلى ما ينفع العبد ويسعى في تحصيله وقوة إحجام وهي التي ترده وتمنعه عن المحارم والمآثم ولهذا قيل (الصبر شجاعة ساعة) لأن النفس بين إقبال وإدبار وإقدام وإحجام...

وسُئل الإمام الجنيد عن الصبر، فقال: «تجرع المرارة (البلاء) من غير تعبس».

وسُئل أحد الحكماء عن الصبر فقال: «الجزع على الفائت آفة، وعلى المتوقع سخافة والسخط على الأقدار معاتبة لله الواحد القهار».

وقيل عن الصبر الجميل: «هو الغنى في البلوى عن إظهار الشكوى».

ورأى أحد الصالحين رجلاً يشتكي إلى أخيه، فقال: «يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك».

وصدق من قال:

وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنما

شكوت الذي يرحم لمن لا يرحم

وللصبر شروط مهمة ليكون بها الصبر صبرًا جميلاً، ومنها:

١ - أن يكون صبرك لله:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الرعد: ٢٢]، أي أن هذا الصبر يكون لله، لا يغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا

الصبر النافع الذي يحيي العبد به نفسه لينال مرضاة ربه ورجاء للقرب منه والحظوة بثوابه هو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر فهذا يصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة (١) .

وأنت ترى جلد الفاجر وصبره على كفره وشركه، قال تعالى : ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ [ص : ٦]، ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان : ٤٢] .

وصدق الفاروق عمر حين قال : « أشكو إلى الله جلد الفاجر وعجز الثقة » .

٢ - عدم الشكوى إلى العباد :

شكوى الله إلى العباد تنافي الصبر وتخرج العبد إلى الجزع والتسخط .

---

(١) تفسير ابن سعدي - رحمه الله - ص ٤١٧ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين».

وقال العلامة بن القيم – رحمه الله – : «هو واجب بإجماع المسلمين (أي الصبر) وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر».

فكون العبد يشكو ربه إلى المخلوق فكأنه في مقام المعاتب لربه المعترض على قضائه وقدره فلابد من الرضا والتسليم لقضاء الله، روى بن ماجه في سننه بسند حسن، وحسّنه الألباني من حديث أبو أمامة ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: **«يقول الله سبحانه وتعالى: ابن آدم، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ لك ثوابًا دون الجنة»** [رواه ابن ماجه (١٥٩٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٩٨)].

وروى الحاكم والبيهقي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«قال الله سبحانه**

وتعالى: إذا ابتليتُ عبد المؤمن، فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل» [رواه الحاكم (١/ ٣٤٩) والبيهقي (٣/ ٣٧٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠١)].

فعلينا أيها المسلمون أن نجعل شكوانا إلى الله تعالى، فهو أرحم بنا من أنفسنا وأرحم بنا من الوالدة بولدها.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : « والشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوب عليه السلام، وعد بالصبر الجميل، والنبي إذا وعد لا يخلف، ثم قال: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ [يوسف: ٨٦]، وكذلك أيوب عليه السلام أخبر عنه سبحانه أنه وجده صابرًا مع قوله: ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)** ﴾ [الأنبياء: ٨٣] » [١].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦١).

فهذا لا ينافي الصبر وإنما الذي ينافي الصبر هو الشكوى من الله، قال العلامة بن مفلح الحنبلي – رحمه الله تعالى –: «ويخبر بما يجده بلا شكوى وكان أحمد – رحمه الله – يحمد الله أولاً لخبر ابن سعود ﷺ: «إذا كان الشكر قبل الشكوى، فليس بشاك»».

وقال الإمام ابن حجر – رحمه الله تعالى –: «أما أخبار المريض صديقه – أو طبيبه – عن حاله فلا بأس به اتفاقًا» [فتح الباري (٣ / ١٥٠)].

٣ - أن يكون في ساعة المصيبة (عند الصدمة الأولى)؛

قال ﷺ: «**يقول الله سبحانه وتعالى: ابن آدم، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضى لك ثوابًا دون الجنة**» [رواه ابن ماجه (١٥٩٧) ومرّ تخريجه].

قال الإمام الخطابي – رحمه الله –: «المعنى: أن

الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه مع الأيام يسلو» [فتح الباري ٣ / ١٥٠].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: مرّ النّبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبرٍ، فقال: «اتقي الله واصبري»، قالتْ: إليك عنّي؛ فإنّك لم تُصبْ بمُصيبتي. ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النّبيّ ﷺ، فأتت باب النّبيّ ﷺ فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦)].

الأسباب المعينة على الصبر:

لاشكّ أن معرفة العبد المسلم بالأسباب التي تعينه على الصبر من آكد الأعمال التي تلزمه بالصبر، وتثبته عليه وهي أسباب كثيرة منها:

١ - استشعار الأجر العظيم على الصبر والاسترجاع:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

وفي صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالتْ: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد تُصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها - إلا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»**، قالت: فلما تُوفيّ أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله تعالى لي خيراً منها رسول الله ﷺ»

[رواه مسلم ٩١٨].

ولقد جاء عن عمر قوله: «ما أصبت ببلاء إلا كان لله

عليَّ فيه أربع نعم، أنه لم يكن في ديني، وأنه لم يكن أكبر منه، وأني لم أحرم الرضا، وأني أرجو ثواب الله عليه».

وحدثوا أن امرأة فتح الموصلي - وكانت من الصالحات - عَثرتْ فانقطع ظفرها - وفي هذامن الألم ما فيه - لكنها حمدت الله، وفضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع، فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

٢ - *التأسي بأهل المصائب:*

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قسم النبيُّ ﷺ قسمًا، فقال رجلٌ: إنَّ هذه لقسمة ما أُريد بها وجه الله، فأتيتُ النّبيّ ﷺ فأخبرته، فغضب، حتى رأيتُ الغضب في وجهه، ثم قال: «**يرحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**» [البخاري (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢)]، وقال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

[الأحقاف : ٣٥] .

٣ - أن نعلم أن البلاء قد يرفعنا في درجات الجنة:

أخرج السيوطي في « جامعه » بسند حسن، حسّنه الألبانيُّ في « صحيح الجامع » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلايزال الله يبتليه بما يكره، حتى يُبلغه إياها »** [رواه السيوطي (٧٣٠) وحسنه الألباني (١٦٢٥)].

٤ - أن نعلم أن الجزع لا يردُّ المصيبة بل يُضاعفها:

ففي سنن الترمذي بسند حسن، حسّنه الألباني في « صحيح الجامع » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« يودُّ أهل العافية يوم القيامة، حين**

يُعطى أهلُ البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض» [رواه الترمذي (٢٤٠٢) وحسّنه الألباني (٨١٧٧)].

٥ - أن نعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة:

ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النَّار صبغةً، ثم يُقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يارب، ويُؤتى بأشد النّاس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ صبغةً في الجنة، فيُقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بُؤساً قطّ؟ هل مرَّ بك شدّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قَط»** [رواه مسلم (٢٨٠٧)].

٦ - أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد يُعوِّضنا على صبرنا واحتسابنا:

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«ما يُصيب المسلم من نَصَبٍ (أي تعب) ولا وصب (أي مرض) ولا هَمٍّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمٍّ - حتى الشوكة يُشاكها - إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**.

وروى الترمذي في «سننه» وحسّنه الألبانيّ في صحيح سنن الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: **«الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلبًا، اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّةٌ، ابتُليَ على حسبِ دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»**.

٧ - أن نعلم أنّ ما أصابنا لم يكن ليُخطئنا:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي

الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾ [الحديد : ٢٢] .

وفي سنن الترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبيّ ﷺ يومًا، فقال : « **يا غُلام، إني أُعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف** » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧)** ﴾ [لقمان : ١٧] .

٨ - المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا على حقيقتها:

فليست الحياة الدنيا دار نعيم ولا دار خلود، إنما هي دار ابتلاء وتكليف، خلق الإنسان فيها ليصقل نفسه ويُبتلى ليُعدّ للدار الباقية، ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يُفْجأ بكوارثها، والقرآن الكريم يُشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة، حين يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤]، كما يشير إلى أن طبيعة الحياة دوام تغيرها، وأنها لا تثبت على حال، فيوم لك ويوم عليك ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

[آل عمران: ١٤٠].

لقد خلق الله الحياة الدنيا على طبيعة اختلطت فيها اللذائذ بالآلام والمحاب بالمكاره، وهذا ما أدركه الحكماء والأدباء من قديم فنطقت به ألسنتهم شعرًا ونثرًا، قيل

لعيل بن أبي طالب صف لنا الدنيا فقال: «ماذا أصف لك من دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء».

وما أجمل ما قال في ذلك الشاعر العربي:

جُبلتْ على كدر وأنت تريدها
صفواً من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

٩ - اليقين بالفرج:

اليقي بالفرج واليقين بأن نصر الله قريب وأن فرجه آت لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة ومع العسر يسراً، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ويقول الرسول ﷺ: **«واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»**.

ولقد وعدنا الله بحسن العاقبة لأهل الصبر والتقوى وفي هذا يحكي القرآن على لسان موسى: ﴿ **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)** ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ويُخاطب الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بعد أن قصّ عليه قصة نوح مع ابنه وما آل إليه أمرهم يعقب على القصة بقوله سبحانه: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)** ﴾ [هود: ٤٩].

وصبر أيوب على ما أصابه من ضر فانتهى به الصبر إلى أجمل العواقب، ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)** ﴾ [ص: ٤١ –

٤٤]. وكذلك قصة يوسف: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (٩٠) ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقصة الذبيح حين استد الكرب، وصبر على الذبح فرَّج الله الكرب لهما، فديَ بذبح عظيم في اللحظة الأخيرة. ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** (١٠٢) ﴾ [الصافات: ١٠٢].

١٠ - الاستعانة بالله واللجوء إلى حماه:

فيشعر بمعيته، وأنه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمايته لا يضام، وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (٤٦) ﴾ [الأنفال: ٤٦] وفي خطاب رسول الله ﷺ: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور: ٤٨].

ومن كان بمعية الله مصحوبًا وكان بعين الله ملحوظًا، فهو أهل لأن يتحمل المصائب ويصبر على المكاره.

ولما هدد فرعون موسى وقومه قال موسى لقومه: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل في آيات كثيرة مثل: ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) ﴾ [النحل: ٤٢] وعلى ألسنة الرسل يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) ﴾ [إبراهيم: ١٢].

رزقنا الله وإياكم الصبر واليقين.



دعوة للإصلاح

الحمد لله، خلق النفس فسوّاها وألهمها فجورها وتقواها، فالفالح من زكاها، والخاسر من دسها، سبحانه النفوس إليه مفضية، والسر عنده علانية، أحمده جل وعلا وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأُثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا يخيب من قصده، ويرضى عمن وحّده وعبده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان للأمة ناصحًا وعليها مشفقًا كاشف الغمّة وناصح الأمة والهادي من الضلالة والمعلم من الجهالة فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين.

وبعد:

كَثُرَ الكلام في الآونة الأخيرة وتعالت الصيحات

تنادي بضرورة الإصلاح، وراح البعض يطرح على الناس أطروحاته ورؤاه ففريق يرى الإصلاح لابد وأن يكون سياسيًا وآخر يرى ضرورة الإصلاح الإقتصادي، وكلٌ يدلو بدلوه، ولكن الجميع يلتقي عند نقطة واحدة ألا وهي ضرورة إصلاح النفس وإصلاح الأسرة وإصلاح المجتمع، ولكن غابت عن عقول هؤلاء جميعًا أن صلاح الأمة لا يكون إلا بالعودة إلى ربها وخالقها ودينها ورسولها ﷺ، فإذا تكلم الناس وأرادوا الإصلاح رفعوا بالإسلام رأسًا خفيضًا وتكلموا على استحياء شديد، فيالله من جلد الفاجر وعجز الثقة فإلى الله يا قوم ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، ولما كان لزامًا على الدعاة والمربين المخلصين وكل غيور على دينه أن يقوم لله بواجب النصح كانت هذه الكلمات العجلى والتي أسأل الله أن ينفع كاتبها وقارئها وان يوفقنا إلى طاعته ومحبته.

إصلاح النفس

إن إصلاح النفس وردّها إلى خالقها وجهادها لهو الجهاد الأكبر في هذه الحياة ولابد لنا هنا من وقفات عابرة لبيان حقيقة هذه النفس، وحتى يصطلح كل فريق على حقه ويعرف المسلم ما له وما عليه، وليأخذ من نفسه لنفسه، ولا يبيع آخرته بدنياه ولا يبيع دينه بدنياه أو دنيا غيره، ومن هٰذه الوقفات:

الوقفة الأولى:

إن علم النفس علم محدث جامد لا ربانية فيه ولا يوصل الأرض بالسماء، وفيه من العبث والضياع الكثير إن لم يكن كله ضياع وعبث والناظر في هذا العلم الذي سوّدت من أجله الكتب وأُنشئت بسببه أقسام في الجامعات حتى والإسلامية منها وأصبح هذا العلم دينًا

يدين به الكثيرون ويعتقدون بكلام أمثال سارتر وفرويد ودوركايم وغيرهم والذين كانوا يكتبون من وحي الشيطان وزبالات الأفكار والمقام لا يتسع لسرد بعضًا من هذه الخزعبلات والتُّرهات ولكنه علم أُقحم على المسلمين في عصورهم المتأخرة وأخذهم في وادٍ سحيق بعيد عن خالقهم وبارئهم، ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

الوقفة الثانية:

أن تقسيم النفس ثلاثة لا رابع لها وخذ وصف الخلق من خالقهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك ١٤].

فهناك النفس المطمئنة، وهذه النفس اطمأنت لقضاء الله وقدره، فرضيت بالله ربًا مدبرًا وآمرًا وناهيًا وقاضيًا في خلقه ما يشاء، فهذه النفس تسكن لله وتشتاق للقائه

وتأنس بقربه، وينادى عليها عند الوفاة ويُقال لها: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)** ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]، نفس رضيت بقضاء الله وقدره فزادها إيمانا وتسليمًا، قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾

[التغابن: ١١].

قال غير واحد من السلف: « هو العبد تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرض ويسلم ».

قال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)** ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٦] منتهى الرضا وقمة التسليم.

وهذه النفس المطمئنة هي التي تعلم أن الأرزاق بيد الخالق، وأن رزق العبد سيأتيه ولو غاب في بطن الأرض وقعر البحر وعلا في طبقات السماء فسوف يصيبه رزقه

ولا محالة، ولو لم يكن رزقه لأخذ منه ولو غاب في جوفه، فالرزق قضية إيمانية كبرى ولو عمل بها الناس لهدأت النفوس واطمأنت القلوب، والله جلّ وعلا تكفّل برزق الخلائق جميعًا وفي هذا مطلق رحمته ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** (٢٢) ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٦٠) ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، فمن كان رزقه على الله فلا يحزن ولتطمئن نفسه.

أما النفس اللوامة: فقد ذهب فريق من العلماء إلى أنها نفس المؤمن تلومه على التقصير في الطاعات والقربات وينادي بها المنادي ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٥٦].

وذهبت طائفة إلى أنها نفس الفاجر التي تتلون وتتقلب ولا تثبت على حال واحدة فهي تقبل وتدبر وترضى وتغضب وتحب وتُبغض، وتفرح وتحزن وتطيع

وتعصي... فهذه النفس تذم من وجه وتمدح من وجه، ولكنها مرحلة بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة بالسوء.

وأما النفس الأمارة بالسوء: فهي النفس المذمومة، فإنها تأمر صاحبها بكل سوء ولا يتخلص من شرها أحدٌ إلا بتوفيق من الله وهداية، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا** ﴾ [النور: ٢١].

بل كان الرسول ﷺ يتعوذ من شرور النفس؛ فقد روى الإمام أبو داود بسند صحيح أن رسول الله ﷺ كان يُعلم صحابته أن يقولوا في خطبة الحاجة: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**» [رواه أبو داود (٢١١٨) وصححه الألباني].

فالشر كامن في النفس، فإذا خلى الله بين العبد وبين نفسه قوي فيه جانب الشر وتأمرت عليه نفسه الأمّارة بالسوء فأهلكته وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله، فنسأل الله أن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه جواد كريم.

الوقفة الثالثة:

أن العبد إذا أجرم وأذنب دائمًا وأبدًا يتعلل بوسوسة الشيطان وإغوائه إياه، ثم يقول لك: (الشيطان شاطر)، وهذا عنوان الخسران وضياع الإخلاص؛ لأن الشيطان أخذ على نفسه ميثاق الإغواء والإضلال ولكنه استثنى العبد المخلص لعلمه أنه لا سبيل له عليه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً** (٦٥) ﴾ [الإسراء: ٦٥]، ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٣٩) **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** (٤٠) ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فلا يتأخذ العبد من الشيطان ووساوسه حجته الدائمة وينس نفسه التي بين جنبيه والتي تأزه على الشر أزًا، وتُسول له المعاصي والذنوب، واستمع إلى آي القرآن ففيها بيانًا شافيًا عن ذلك، قال تعالى حاكيًا عن أول من سن قتل وعليه - بسبب ما سولت له نفسه - كفل من دم كل من أُهريق دمه وقُتل: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ [المائدة: ٣٠]، وقال على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨]، وقال على لسان السامريّ: ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٦]، أي في صنع العجل وتعبيد الناس لغير الله جل وعلا.

فأنت ترى دور النفس الأمارة بالسوء التي تسول لصاحبها كل جريمة نكراء وفعلة حمقاء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾ [ق: ١٦].

الوقفة الرابعة:

إن صلاح النفوس لا يعني أبدًا أن تركن النفس إلى ترك الدنيا ملاذها وشهواتها المباحة، فالإسلام دين الوسطية، فنحن أمة الوسط في كل شيء ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣]، ونحن أمة الدين اليسر ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فأهل النصرانية في رهبانيتهم حرموا ما أحل الله لهم وشددوا على أنفسهم من حيث يسّر الله عليهم، فلا رهبانية في الإسلام ولا إفراط ولا تفريط ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾
[الفرقان: ٦٧].

فلا يغيب هذا عليك أيها المسلم من تطويع الدنيا لمراد الله والحرص على عمران الأرض بذكر الله فالتريض والترويح عن النفس لا يكون إلا بما شرع الله وأحل، والنفس تميل إلى الترويح والفسحة فلابد وأن يكون لها

نصيبها من ذلك، فلابد من استحضار المعاني الشرعية في الأفراح والأتراح والحل والترحال والغضب والرضى..

وإن كنا نعيب ونذم أهل النصرانية على هذه الرهبانية المفتراة فإننا ننكر أيضًا ما يفعله من نسب نفسه إلى الصوفية وزعم التصوف فسكن الخرب واعتزل الحياة وحرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ويحسب ذلك دينًا وما هو عند الله بدين، والحق يحملنا على الصدق في القول والحكم والعمل ونحن أمة دستورها القرآن وقدوته محمد ﷺ فلابد من الأخذ بهذين الأصلين علمًا وعملاً وحكمًا وعبادة ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧].



كيف نزكي أنفسنا؟

وهذا السؤال يدور في الأذهان ويشغل الأفهام كيف نصلح هذه النفس؟ وبماذا تعالج هذه النفس المتأبية على خالقها، وحقيقة الأمر أن تزكية النفوس مطلب مُلح عند كل مسلم، وكم من إنسان عاش عمره وهو يجهل نفسه التي بين جنبيه والتي هي أشد التصاقًا به، فهذه أيها الأخ الحبيب وسائل تربوية تعينك على إصلاح نفسك وتزكيتها ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ من زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

أولاً - التوحيد الخالص:

لابد من تطهير النفس من أدران الشرك وأن يخلص العبد في عبادته لربه فلا يجعل مع الله ندًا، ولا يكفي أن يوحد العبد ربه، ولكن لابد أن يكون توحيده هذا خالصًا لله ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿ **فَمَن**

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ولاشك أنّ أعظم الأعمال الصالحة هو توحيد الله تعالى، فلابد أن تكون مرتبة الإخلاص فيه أعلى وأغلى وأعظم المراتب .

فيكف تأنس هذه النفس بغير الله وكيف تركن إلى غيره فوالله أن الكافر يعبد ويدعو من دون الله وهو يضاد فطرته ويعاكس نفسه التي ولدت على الفطرة ولهذا لما عاين الكفار الخسران كان من جملة قولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ﴾ [الأنعام : ٢٣]، فأجاب المولى سبحانه بما انطوت عليه أنفسهم من الكفر والشرك بالله .

قال تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾ [الأنعام : ٢٤] .

فيالله كيف يستسيغ الكافر أن يكذب على نفسه

ويرديها ويُهلكها ويحرمها نور الإيمان وطمأنينة الإسلام والهدى والنور.

فزكي نفسك أخ الرسلام بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، ولا تتعلق بولي أو مقبور وسل الذي أبوابه لا تحجب فأعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك، فردَّ الأمر لخالقك ، واستعن بالله ولا تعجز.

ثانيًا - سلامة القلب:

من أعظم عوامل صلاح النفس سلامة القلب من أمراض الشهوة والشبهة، والقلوب على ثلاثة أقسام:

(أ) قلب حيٌّ مخبت منيب لين واع.

(ب) قلبٌ يابس جامد ميت فهو كالحجارة أو أشد قسوة.

(جـ) وقلب مريض فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

فعليك بسلامة قلبك من أمراض الشك، وهذه أعظم أمراض القلب ومن نجا منها نجا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **ولا تُخزِني يوم يُبعثُون (٨٧) يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون (٨٨) إلاَّ منْ أتى اللَّه بِقلْبٍ سليمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء: ٨٧ – ٨٩].

فإذا أردت صحة قلبك فألزمه التوحيد الخالص واحفظه من كل شهوة أو شبهة، وتلمس له مواطن الحياة من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وإياك أن يتفلت قلبك منك فما سُمي القلب قلبًا إلاّ لتقلبه على صاحبه وعدم قراره واستقراره فالسعيد من حفظ قلبه وزكاه ونماه في طاعة مولاه وصدق الصادق ﷺ حين قال: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»

[البخاري (١٢٦) ومسلم (٢٧)].

وإياك وسموم القلب الأربعة، وهي: فضول الكلام،

وفضول الطعام، وفضول النظر، وفضول المخالطة. فهي تعجل بموت القلب أو مرضه، فكن منها على حذر واجعل قلبك خالصًا من الشرك والرياء والنفاق.

ثالثًا - الزهد في الدنيا:

الزهد هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، واعلم رحمك الله أن الزهد في هذه الدار الفانية على درجات منها: أن يزهد العبد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وإليها مائل فهو مع نفسه في جهادٍ حتى يكفها وهناك درجة أعلى في الزهد، وهو الزاهد الذي يزهد نفسه في الدنيا احتقارًا لشأنها وهوان الدنيا على نفسه.

وإليك كلام سيد الزاهدين وهو يذم الدنيا ويبين حقارتها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ مرّ بالسوق الناس كنفيه، فمر بجدي أسكّ ميت فتناوله فأخذ بأذنه، فقال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحن أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال:

«**أتُحبون أنه لكم**» قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه أنه أسك فكيف وهو ميت. فقال ﷺ: «**والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» [رواه مسلم (١٨ / ٩٣)، وأبو داود (١٨٤)]، فهذه هي الدنيا هذا قدرها عند خالقها، والآخرة خير وأبقى، أفلا تعقلون.

رابعًا - محاسبة النفس:

اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم أن النفس قاطعة بين القلب وبين الرب وأنه لا يدخل عليه سبحانه إلا بعد إماتتها والظفر بها واستقامتها على أمر الله، فبهذا يتصل القلب بمحبوبه وخالقه سبحانه.

وقال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح ونجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك فمن أراد النجاة فلابد له من محاسبة

نفسه، ومحاسبة النفس نوعان: قبل العمل، وبعد العمل.

فإذا كان قبل العمل نظر في عمله هل هو في مقدوره واستطاعته فإن كان كذلك أمضاه، قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم إذا علم أن العمل في مقدوره وقف وقفة ليرى هل هذا العمل فعله خير له من تركه أم تركه خير له من فعله، فإن كانت الأولى أمضى النفس في العمل، وإن كانت الثانية كفَّ نفسه وعصمها، قال تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت: ٣٤].

ثم إذا كان العمل مقدوراً وفعله خير من تركه وقف العبد وقفة يستحضر فيها النية والإخلاص لله، قال الحسن - رحمه الله - : « رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر ».

وأما بعد العمل فيكون بمحاسبة النفس على

التقصير في الطاعة واتهمها بذلك خشية الغرور والعجب، ثم يكثر من الدعاء أن يتقبل الله منه عمله هذا ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

خامساً - الصبر والشكر:

لا تخال نفسٌ صالحة موصولة بالله بغير صبر وشكر، فالإيمان نصفين نصفه صبر ونصفه شكر ولا غنى لمؤمن عنهما.

فالصبر لغة هو المنع والحبس وشرعًا هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والجوارح عن العمل بمعصية الله من لطم الخد وشق الجيب ونحوهما، وقيل: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

والصبر الجميل وهو الصبر الذي لا شكوى فيه، ولكن هناك من الشكوى ما لا ينافي الصبر وهو الشكوى إلى الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي

إلى الله ﴾ [يوسف : ٨٦]، أما إذا كانت الشكوى إلى مخلوق فهذه شكوى من الله وهذه تضاد الصبر وتبطله، وصدق من قال:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما

تشكي الرحيم إلى الذي لا يرحم

واعلم - أصلح الله نفسي ونفسك - أن أوسع العطاء بعد نزول البلاء هوالصبر، فقد قال ﷺ : «**وما أعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» [رواه البخاري (٣/ ٣٣٥) ومسلم (٧/ ١٤٤، ١٤٥)].

وللنفس إقدام وإحجام وزمام ذلك وملاك أمره الصبر والنفس مطية للعبد وزمام هذه المطية وخطامها الصبر، فمن كان بلا صبر فهو بلا خطام، فنفسه شاردة في كل مذهب، فعليك بالصبر فلا يُمكن المرء حتى يُبتلى، والله مع الصابرين ويحبهم ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل

عمران : ١٤٦]، فالصبر يلزم العبد لزوم النَفَس للنَّفْس .

وأما الشكر فهو أحب الأعمال إلى الله تعالى وهو الثناء على المنعم بما أولاه من معروف ومدار الشكر على ثلاثة أركان :

١ - الإعتراف بالنعمة من المنعم ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل : ٥٣] .

٢ - الشكر المنعم على نعمته ﴿ **وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

٣ - العمل بهذه النعمة في مرضاة المنعم ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُود شُكْرًا** ﴾ [سبأ : ١٣] .

ولما علم إبليس قيمة هذه العبادة (عبادة الشكر) قطع السبيل على الشاكرين، فنصب لهم سوق الغفلة ﴿ **وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** (١٧) ﴾ [الأعراف : ١٧]، ولهذا قلَّ الشاكرون في أمته ﷺ وغيرهم من الأمم

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣]، وكان الحسن – رحمه الله – يقول : «**أكثروا من ذكر هذه النعم ؛ فإن ذكرها شكر**» وقد أمر الله سبحانه نبيه أن يحدث بنعمة ربه، فقال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١].

فلله الحمد على جميل ما نشر وقبيح ما ستر.

سادسًا - الرضا بقضاء الله:

الرضا : انشراح الصدر وسعته بالقضاء وإن وجد الإحساس بالألم فإن الرضا الذي يباشر القلب يقوي جانب التسليم والرضا بقضاء الله وقدره، ومن باشر الرضا ذاقت نفسه حلاوة الإيمان التي قال عنها رسول الله ﷺ : «**ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً**» [رواه مسلم والترمذي].

ونظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عدي بن حاتم

كئيبًا، فقال: «ما لي أراك كئيبًا حزينًا؟ فقال: وما يمنعني قد قتل ابناي وفقئت عيني. فقال: يا عدي من رضى بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر ومن لم يرضَ جرى عليه وحبط عمله».

وكان الحسن يقول: «من رضي بما قسم الله له وسعه وبارك الله فيه، ومن لم يرضَ لم يسعه ولم يبارك فيه».

فارضَ بما قدّر الله وقسم لك تكن أغنى الناس، وإياك والتسخط، وقل بلسان حالك ومقالك الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وقد يتلذذ المحب بما يصيبه؛ لأنه صدر عن محبوبه وهكذا كان يفعل أهل المعرفة بالله، فمن شدة حبهم لربهم ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره من حبيبهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب وغذاء الأرواح،

وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها وإذا فقدها القلب فهي أعظم المصائب، وصدق من قال:

وكن لربك ذا حب لتخدمه

إن المحبين للخدام خدام

نسأل الله محبته والرضا بقضائه وقدره.

سابعًا - الخوف والرجاء:

اعلم أيها الحبيب أن الخوف سوط الله الذي وقع أثره أول ما يقع في القلب كفّه عن الحرام، وحال بينه وبين عجائب اللذات ولطائف الشهوات، فهذا الخوف يجعلك بين التخويف والتعنيف، ولكن خوف اللسان بكلم المستهتر يفضح صاحبه، فكم من الناس قوله قول خائف وفعله فعل آمن، ولو صدق الله لصدقه الله، وهذا الخوف القاصر يدعو إلى الغفلة وإلى الجرأة على محارم الله، ويجعل العبد في غير محل الرجاء، فأيّ رجاء هذا

وقد ضيع صاحبه الصلوات المكتوبات وأكل الحرام وانتهك الحرمات.

قال أحد الصالحين: «من خاف شيئًا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه»، وقال الفضيل بن عياض: «إذا قيل لك هل تخاف الله؟ فاسكت؛ فإنك إن قلت: نعم كذبت، وإن قلت: لا، كفرت».

وأما الرجاء فهو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده فإن كان هذا الرجاء من غير أسباب فهو الغرور والحمق والأماني الكاذبة، وإنما الرجاء يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، فالعبد متى بث بذرة الإيمان وسقاها بماء الطاعات، وطهّر قلبه من شوك الأخلاق الرديئة ورجاء ما عند الله من الثواب وحسن الخاتمة كان رجاء حقيقيًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) ﴾ [فاطر: ٢٩].

ثامنًا - التوكل:

من سبل إصلاح النفس التوكل على الله حق توكله، وحق التوكل على الله أن يصدق القلب في اعتماده على الله في استجلاب المنافع ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**» [رواه الترمذي (٢٠٨١١٠) والحاكم (٤/٣١٨) والحاكم وابن ماجه (٦٤) وصححه الألباني].

وقال سعيد بن جبير: «التوكل جماع الإيمان». وسُئل إسحاق بن راهوية: «هل للرجل أن يدخل المفازة بلا زاد؟ فقال: إن كان الرجل مثل عبد الله بن جبير، فله أن يدخل المفازة بلا زاد..».

وكلام الإمام أبو إسحاق بن راهوية فيمن بلغ توكل وإيمان عبد الله بن جبير وليست هذه دعوة لترك الأسباب؛ فإنه لا يرخص في ترك السبب بالكلية، إلا لمن انقطع قلبه من الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية.

وليعلم: أن عدم الأخذ بالأسباب طعن في التشريع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد. قال سهل: من طعن في الحركة يعني في السعي والكسب، فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان».

فالتوكل حال النبيّ ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته. فلابد من صدق التوكل على الله في طريقك لإصلاح نفسك.

تاسعاً - الصدق في محبة الله:

محبة الله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات، والقلوب مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها، فعلامة صدق الإيمان محبة الله ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقد قال

سبحانه عن أهل محبته : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤]. والمتأمل في حال المحبة بين الناس يرى من يحب من الخلق يريد من أحب لنفسه، ولكن الله تعالى يريدك لنفسك.

ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها إذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، و الأذن إذا فقدت سمعها.. وقال فتح الموصلي: «المحب لا يجد للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين»، ولابد للمحب من طاعة محبوبه، فهي من أشد علامات صدق المحبة، وصدق من قال:

تعصي الإله وتظهر حبه

هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

وقال الحسن البصري – رحمه الله تعالى –: إن قومًا ادعوا محبة الله تعالى فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجدد محبتك لله وراجع نفسك فكم من قائل بالمحبة وهو بالفعل يخالف محبوبه.

عاشرًا - لزوم التوبة:

التوبة: هي رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، منزلة التوبة هي أول المنازل وأوسطها وآخرها ولزوم التوبة للعبد كلزوم الروح للجسد، فلا يزال فيها العبد السالك إلى ربه حتى الممات، ولزوم التوبة من أعظم الوسائل المعينة على تقويم النفس وصلاحها. والله جل وعلا قد قسّم عباده، بين ظالم وتائب.

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١].

ولابد للتوبة من ثلاثة شروط :

١ – الندم .

٢ – الإقلاع .

٣ – عدم العودة .

وهذا إذا كانت التوبة في حق الله، فإن كانت في حق مخلوق وجب إضافة شرط رابع وهو التحلل من هذا المخلوق برد مالٍ أو بغيبة ونحو ذلك، فيُعلم من ذلك أن التوبة حق لله وحق لآدمي لابد من الوفاء بهما، حتى تكون التوبة توبة نصوحًا، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [التحريم: ٨] .

وهذه التوبة النصوح الخالصة من كل نقص وغشٍ وفساد تستلزم ثلاثة أمور:

الأول: ما يتوب العبد منه (الذنب صغيره وكبيره) .

الثاني: يتعلق بذات التائب (مدى صدقه في توبته) .

الثالث: يتعلق من يتوب إليه سبحانه هل مخلصًا لله في توبته أم لا.

وأصل النصح في اللغة تخليص اللبن من الشوائب، وشرعًا أن تكون التوبة خالصة لله تعالى ليس فيها من العلل القادحة والشوائب ما يفسر توبة العبد أو نكوصه ورجوعه عن التوبة والتقهقر إلى هاوية الذنب، وعلى العبد العاقل أن يتدبر حال معصيته لله أن يتذكر عدة أمور ومنها:

١ - آن ينظر إلى عظمة من عصى ومدى حلمه وعفوه مع قدرته عليه جلّ وعلا، ولو شاء لأهلكه وفضحه على رؤوس الأشهاد، ولكنه ستر الله وعفوه.

٢ - أن ينظر العبد العاصي إلى قدرة الله، وهو يمكن من المعصية فكما منحه سبحانه ستره منحه قوة على معصية ولو شاء لعصمه منها فيحدث ذلك في القلب ذلة وانكسار لفوات عصمة الله إياه.

٣ - أن يحمد الله تعالى أن وفقه لكونه تعرف على معصيته، وأدان نفسه بها، فكم من عاصٍ لله مات قلبه، واستحوذ عليه الشيطان، ثم يحمد الله سبحانه أن وفقه للتوبة، ثم يسأله الثبات عليها حتى الممات.

٤ - أن يتدبر العاصي الكون من حوله وكله مقهور مذلل منقاد لله، ثم يكون بما تكافئ هذه النعم، فيزداد القلب حسرة على ما أساء وفرط.

بمثل هذا يُصلح العبد نفسه ويصطلح مع ربه ويعود إليه سبحانه.

اللهم أصلح نفوسنا وارزقنا طاعتك، ومحبتك ورضاك عنّا يا سميع الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فهرس

